1

تطابق الفكر السلفي والصوفي عند الشيخ ماء العينين

إن التقليد الأعمى جر انحرافات للأمة الإسلامية، تجب إعادة النظر فيها ذلك أن الانسان أصبح يجد مسلما تام الإسلام له مشاركة في بعض العلوم، ثم يسمع الحديث الشريف، فيتردد في العمل فيه حتى يرى هل ذلك موافقا لكلام أمامه، أو شيخه أم لا ؟ وهذا محض الانحراف عن منهج الصواب والحق، قال الشيخ ماء العينين في هذا الموضوع :

«والأدب مع النبي صلى الله عليه وسلم ليس إلا في اتباعه، وتعظيم أقواله وأفعاله بتقديمها على أقوال غيره وأفعاله، وهو أمر متأكد في كل زمان واجب على كل مسلم، لاسيما في زماننا هذا اليوم فإن كثيرا من أهل التقليد في هذا الزمن لا يقبل العمل بحديث إلا إذا وجده موافقا لقول من قلد من العلماء وهذا لعمري عكس القضية، بل الأولى والواجب أن لا يلتفت إلى قول مقلد إلا إذا وافق قولا وفعلا للنبي صلى الله عليه وسلم، أو لصحابته الذين أخذوا أقوالهم من هديه عليه الصلاة والسلام لقول الله عز وجل : «وما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا» وقوله صلى الله عليه وسلم : «اصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم إلى أن قال : «فعلى الناس كلهم ولا سيما العلماء والأشياخ أن يتأدبوا مع النبي صلى الله عليه مسلم باقتفاء أثره فهو واجب عليهم، وعليهم أن يقدموه على غيره، ويحثوا على ذلك اتباعهم (1) ثم قال : قال الله عز وجل «قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم» قل «أطيعوا الله وأطيعوا الرسول فإن تولوا فإن الله لا يحب

الكافرين» وردت استشهادته بهذه الآيات على كثير من الأقوال في هذا السياق (1) فذم التقليد الأعمى وحث على اتباع السنة ثم بين طريقته لمن سأل عنها فقال :

«وذي طريقتنا خذها وضابطها   مستحسن الشرع لا سواه فاتبعي»

قال في الشرح <<أعني أن طريقتنا إن يسأل عنها سائل هي : مستحسن الشرع، فلا سواه، ومن اتبعني فعليه بمستحسن شريعة الله، المبينة في كتاب الله وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام وهذا إقتداء بقول الله عز وجل مخاطبا نبيه عليه الصلاة والسلام : «قل هذه سبيلي ادعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني>>.

إلى أن قال فإذا أردت أيها السامع الانتفاع فعليك بالكتاب والسنة، فهي الطريقة التي لا اعواجاج فيها فهي التي تهديك إلى الصراط المستقيم صراط الله العزيز الحكيم، وضابط هذه الطريق هو المستحسن من الشرع لا غيره إلى أن قال : «فالقبيح هو ما نهى الله عنه والحسن ما لم ينه عنه، ولذلك قلت فاتبع أيها السامع ما أمر الله به - لأنه مستحسن ولا تتبع غيره لأنه قبيح» قال سيدي عبد الله بن الحاج ابراهيم في مراقي السعود:

«ما ربنا لم ينه عنه حسن   وغيره القبيح والمستهجن»

يعني أن الحسن هو ما لم ينه عنه الله وغيره هو القبيح وهو المستهجن (2).

إن الشيخ ماء العينين بادر بالرد علي فئتين فئة أصحاب التقليد الأعمى من مَن يعطل كلام الله، أو حديث نبيه عليه الصلاة والسلام، حتى

Scanné avec CamScanner

www.cheikh-maelainin.com

يرى إما ما أوفقيها معينا عمل به، وعندها يعمل بالأصل، وهذا بلا شك من أقبح المخالفات : أما الفئة الثانية فهم أصحاب الطرق، إذ قال في مواجهتهم:

«اسمع ولا تغترر وما أقول   ان الطريق إلى الاله بالورع»

بين في هاته القصيدة وشرحها أن الطريق إلى الله ليست في شيء سوى الورع، وترك ما نهي الله - واتباع ما أمر به، وامتثال أوامر الشريعة المطهرة وضبط السلوك بالمنصوص عليه في الكتاب والسنة وكلاهما لم يقبل كثيرا مما قام ويقوم به أصحاب المستحدثات اليوم سواء تستروا بالطرق الصوفية أو غيرها، لأن الشرع يلزم كل المسلمين باتباع نهج الرسول عليه الصلاة والسلام، وصحابته وأولئك، لم يلزمونا باتباع فئة معينة من المشائخ، يعتبر اسلامنا غير كامل إذا لم نتبعهم.

مع أننا لا ننكر فضل عالم تصدر للتعليم، وهداية الناس وحثهم على السلوك المستقيم وفق الكتاب والسنة، ولا نجادل أيضا في ضرورة تكريمه لأن العلماء ورثة الأنبياء.

لذا فإن الذي ينكره العلماء هو هذه الوصاية التي أصبحت مفروضة يتوارثها الأبناء عن أبائهم ولو فرطوا في سبيلهم، فقد حان الوقت أن يراجع كثير ممن انزلقوا في تلك المخالفات معتقدهم فيصححوا، ويرجعوا سلوكهم إلى نهج الكتاب والسنة، بدون وسطاء، ونحن أيضا لا ننكر أن بعض مشائخ الصوفية قام بدور عظيم لصالح الاسلام، ونخص منهم العلماء، فقد جاهدوا وعلموا وهدوا الناس للاسلام، وقد عرفت منهم افريقيا السوداء نخبة ستظل أسماؤها خالدة يجلها المسلمون ويهابها الملحدون إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، لأنهم صالحون سيبقون يستحقون من كل مسلم الترحم والدعاء الصالح،

الصالح ما داموا ما جعلوا من أنفسهم وسطاء بين العبد وربه، ومادامو لم يفسروا نصوص الكتاب والسنة تفسيرات تضمن لهم ميزات تفرض لهم قدسية ما أنزل الله بها من سلطان، وهذا السلوك الأخير الغير مستند على أصل هو الذي اتبعه بعض المشعوذين تحت اسم الطرق الصوفية، حتى أصبح بعضهم يأخذ جماعات من الجهال فيعطيهم «اسم المقدمين» مثلا، ثم يكل إليهم أمر الدعوة وتوجيه الناس وتفقيههم في الدين، فينجم عن ذلك ابتزاز الأموال، والآفتاء بغير علم، وانتشار الشعوذة والضعف أمام التيارات المعادية للاسلام نتيجة لفراغ المتبوع فما بالك بالتابع، إن هذه الحالة هي التي تميزت بها بعض الطرق التي تسمى نفسها صوفية، فأصبح جاهل محترف يعمد إلى هيأة معينة، ثم يأخذ في أحسن ظروفه إسما أو اسمين من أسماء الله الحسنى لا يعرف شيئا عن معاني تلك الأسماء ولم يقرأ حتى فرض عينه ولا يدري أي شيء عن الصفات، ولا عن الواجب ولا السنة، وحتى الشهادتين نطق بهما تقليدا وليس إيمانا، يعمد مثل هذا إلى جماعات من الجهال فينصب نفسه عليهم شيخا فيستحوذ على مشاعرهم فيحول بينهم وبين العلماء، إذ أرادوا تعليمهم وبينهم وبين سلطات بلادهم الشرعية، إذا أرادت توجيههم لما فيه مصلحتهم، وقد أصبح كل ينضوي تحت ظل اسم معين، ومما لا شك فيه أن الاستعمار، إذا كان لقي مواجهة من شيوخ العلم والمعرفة، فإنه تسلل إلى الشمال الأفريقي عن طريق دعاة الصوفية من الجهال، أماعلماء الصوفية فقد ألجموا مده لمدة طويلة بالدعوة إلى الله والجهاد في سبيله.

أمام هذا الوضع أراد الشيخ ماء العينين أن يجعل حدا لتضارب أهل الطرق في الأسماء والسلوك ويفرق بين أهل الحق وغيرهم فقال :

«اسمع ولا تغتـرر ومـا أقول فع
ان الطريق إلى الاله بالورع»

Scanné avec CamScanner

والزهد والصدق والتصديق والسهر
والخوف والجوع مع يأس عن الطمع»

ألف على هاته القصيدة كتابا سماه إظهار الطريق المشتهر، وذلك ردا منه على ما كان سائدا في أغلب الأحوال في عصره، إذ كل جماعة أصبحت تتميز بطريقة تعرف باسمها، فأراد الشيخ ماء العينين أن يوضح موقفه الديني من الطرق بصفة عامة، فقال ان الطريق إلى الاله بالورع، ثم بالزهد في الدنيا، وترك الاشتغال بها حتى لا تصد عن عبادة الله والقيام بواجب المسلم تجاه ربه ومجتمعه، فقال في الشرح : «أعني أنك أيها الأخ في الله تصغي أي تميل إلى أذنك لتسمع ما أقول لك سماع قبول، أو اسمع غيرك ما أقوله ولا تغترر أي لا تغفل عنه أنت واحفظه، والذي أقول أن الطريق إلى الاله بالورع بالكف عن المعاصي، ثم قال اني ابتدأت في هذه القصيدة بالورع لأنه بالنسبة للأعمال بمنزلة الرأس من الجسم، واستدل بالحديث الشريف القايل : «الورع سيد الأعمال» (1) وعن عبد الله بن عمر قال : لو صليتم حتى تكونوا كالحنايا، وصمتم حتى تكونوا كالأوتار لم يقبل ذلك منكم إلا بورع حاجز» (2).

ثم قال بالحرف هذهالقصيدة أتيت فيها بأشياء يستدل على أن من أخذ بها أنه سائر على طريق الله منها : الورع المذكور في البيت الأول ثم سبعة أشياء أخرى ذكرها في البيت الثاني، الذي عند تفسيره قال : «هذا البيت اشتمل على سبعة ألفاظ مجرورة لعطفها علي «بالورع» أعني أن الطريق إلى الاله أيضا بالزهد وهو ترك الرغبة في الدنيا، وبالصدق أي قول الحق باللسان، وبالتصديق للغير كتصديق الأنبياء، والعلماء

Scanné avec CamScanner

الاولياء، وبالسهر من اجل التحصيل والعبادة، وبالخوف من الله، وعلامته التشهير بالطاعة، وبالجوع، إما بالصوم، أو بما يعادله من ترك الطعام في الليل والنهار واليأس أي القنوط عن الطمع فيما بيد المخلوقات (1).

إن الشيخ ماء العينين هنا أراد أن يبين أن طريقته هي طريقة الله بالسير على محجة القرآن والسنة، فعندما ملأت الساحة طرق تحت مسميات مختلفة، وكل واحدة يدعى أصحابها أنها هي الطريق الموصل إلى الله جل جلاله أراد أن يبين لهم أن طريق الإله تجمع كل المسلمين وتوحدهم، وتنبذ تفرقتهم وأنها ليست في سلوك فلان وأصحابه، أو ذاك واتباعه وإنما هي بالورع والصدق، والتصديق، والزهد، واليأس من الطمع، إضافة إلى هذا وردت أشارت إلى خطورة كون كثير من المشعوذين اتخذ التظاهر بالتصوف للتكسب، والنيل من العلماء والانغماس في الملذات مما جعل الجد رحمه الله يبين ان المتصوفة من منهم على صواب عرفوا بالزهد والتورع عن جمع المال والالتجاء للناس والرغبة في إبتزاز اموالهم فهذا هو الذي حمله على ذكر تلك الأشياء السبعة التي أشار إليها البيت السالف، وبهذا الموقف ندرك أن صاحبه أراد أن يسجل موقفه من تلك المخالفات التي فشت في كثير من الأقطار الإسلامية آنذاك، ثم قال في نفس هذا السياق.

والذكر والفكر واعتزال من غفلا عن ربه واقتراب من بذين رعى»

قال مباشرة بعد هذا البيت «أعني أن الطريف إلي الاله أيضا تكون بالذكر، ذكر الله جل جلاله، وتكون بالفكر وهو التفكر في مخلوقات الله تعالى وتكون باعتزال الذي غفل عن ربه» ولما شرح أنواع الذكر قال : وأفضله ما جاء به الكتاب العزيز، ثم ما أمر الله به نبيه رسول الله صلى عليه وسلم، أو أي نبي من أنبيائه وأقره نبينا عليه الصلاة والسلام،

www.cheikh-maelamin.com

مما جاء به الكتاب أيضا، ثم ما ورد عنه صلى الله عليه وسلم في الكتب المشهورة الصحيحة فحفظه العلماء والأولياء الصالحون، ولا غيره (1).

ومضى رحمه الله يصف أنواع العمل المؤدى إلى رضا الله سبحانه وتعالى موضحا أن الطرق، ينبغي لأصحابها التمسك بظاهر الشرع، ومستحسنه وهو الراجح من الأقوال عند الخلاف، وجعل المرجع في الكل هو الكتاب والسنة، فيحصل النفع للفرد بحسب تمسكه بهديهما، لا باتباع زيد ولا بكر من المخلوقات وإن سلوك المسلم السني لا تتوقف صحته وقبوله على الالتزام بطريقة من الطرق، بل يتوقف قبوله على أدائه حسب شروطه.

ثم أوضح موقفه أيضا من هذه الطرق، وأصحابها في كتابه مفيد الراوي على نظمه المسمى : «اني مؤاخ» «مع تعريف لسبب وضعه تحت عنوان : إني مخاوي بدل اني مؤاخ، فبين ان الطرق ما كان منها على حق فسيكون مصدره واحدا، وغايته واحدة، واتحاد المصدر، والغاية كفيل بتوحيد الهدف والمصير قال في النظم :

«اني مخاو لجميع الطرق ... إخوة الإيمان عند المتقي
ولا أفرق للأولياء ... كمن يفرق للأنبياء
قال تعالى المؤمنون إخوة ... وعدم التفريق فيه اسوة

قال في الشرح أنه أيام دراسته على والده، كان يحثه على الطاعة ويامره بتلاوة بعض الأسماء مرشدا إياه إلى بعض الآثار التي حفظت في شأنها، مثال ذلك : عدة أحاديث عزاها للطبراني نسوق منها الأمثلة التالية : «قال صلى الله عليه وسلم : من قال لا إله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، لم يسبقها عمل ولم تبق معها سيئة، أخرجه الطبراني عن أبي أمامة».

Scanné avec CamScanner

وقال صلى الله عليه وسلم : «من قال حين يأوي إلى فراشه استغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه ثلاث مرات غفر له ذنوبه كلها، وان كانت مثل زبد البحر، وإن كانت عدد ورق الشجر، وإن كانت عدد رمل عالج وإن كانت عدد أيام الدنيا، أخرجه الترمذي عن أبي سعيد.

وأخرج الديلمي عن علي قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم : من قال حين يصبح أعوذ بكلمات الله التامة التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر من شر ما خلق وبرأ وذرأ عصم من شر الثقلين الجن والانس، وان لدغ لم يضره شيء حتى يمسي» (1).

هذه نماذج من الأوراد التي كان يامر بها الشيخ ماء العينين تلامذته اقتفاء بتوجيه أبيه له بعد أن يعلمهم العلم، ويرشدهم إلى أحاديث الفضائل، دونما تقيد بطريقة معينة، ففي كتابه، إني مخاوي لجميع الطرق قال : ما مضمونه لقد كان والدي رضي الله عنه يحثني على ملازمة الطاعة، وتلاوة القرآن وأسماء الله الحسنى حسب الفضائل الواردة في كتب الحديث، وما قال لي في يوم من الأيام هذه طريقة فلان، أو طريقة فلان، فنشأت يقول الشيخ ماء العينين على هذا الحال، إلا أني لما قدمت على شمال مغربنا وجدت، جماعات كلها ينتمي لطريقة، وله أوراده الخاصة، فاستفسرت عن تلك الأوراد، فإذا كثير منها موافق لما هو ثابت في الأحاديث، فعندما تساءلت عن أسباب الخلاف، وتبين لي أن كل الطرق إن كانت على صواب، فمصدرها واحد، هو كتاب الله وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام، وما درج عليه السلف الصالح، ومن ثم فلا داعي لخلاف، ولا مسميات، وإنما هو سلوك سني حفظه السلف الصالح، ودأب العلماء على تلقينه لتلاميذتهم، في الزوايا والرباطات والمدارس والمساجد،

Scanné avec CamScanner

فينبغي أن يحافظ عليه حسب سلوك وممارسات الصحابة ومن تبعهم من هذه الأمة علماء السلف الصالح، فإذا استمرت الطاعة بتطبيق نصوص الكتاب والسنة.

وبنفس الأسلوب والنمط، الذي ظلت عليه في عهد الصحابة رضي الله عنهم، هم وتابعيهم، ومن أتى بعدهم من السلف الصالح عندها يكون العمل سنيا، والأجر لا محالة ثابتا، أما أن يراد بهذه الطوائف شيء غير فتاخذ أحكامها وتوجيهاتها من غير كتاب الله وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام فحينئذ تكون من البدع الضالة وتجب محاربتها، ونبذها، هذا مضمون كلامه من كتاب مفيد الراوي ولذا قال : «أني مخاو لجميع الطرق» الأبيات السابقة وسنبين كيف كان والده يحثه على لزوم الطاعات دون أن يلزمه بطريقة معينة وذلك في الصفحات القادمة.

هذه نماذج قصيرة وموجزة، تبين لنا الفكر السلفي المبكر عند الشيخ ماء العينين، الذي يعد من الرواد الأوائل الذين طالبوا بالرجوع إلى الكتاب والسنة، والتخلي عن التفرقة التي جرها التعصب الأعمى سواء في الطرق، أو في الخلافات الفرعية في الفقه، على المسلمين من ضعف، وتمزق.

ويترجم هذا الاتجاه السلفي الملتزم بالسنة هو أن مدرسة الشيخ ماء العينين لم تعرف شطحات معينة، ولا مجاذيب تحيد أعمالهم عن تطبيق ظاهر الشريعة، ثم تتخذ لهم اعذار لم يستطع العلماء استساغة مبرراتها بقيت إشارات لابد منها هي أن مدرسة الشيخ ماء العينين ووالده، تنكر سوق الذبائح إلى القبور والتمسح عليها، والتوسل بها على طريقة تخالف سنة زيارة القبور، التي قال عنها سيد الوجود كنت نهيتكم عن زيارة القبور ألا فزروها فإنها تذكركم الآخرة.

ثم أن الشيخ ماء العينين الذي نال حظوة كبيرة عند خمسة من

موقع الشيخ ماء العينين
Scanné avec CamScanner

الملوك العلويين قدس الله أرواحهم، كان بإمكانه بفضل رعايتهم أن يقيم موسما أو مواسم في الصمارة، اقتصادية نظرا لمركزها وربطها بين شمال المملكة وجنوبها، إلا أنه سدا للذريعة وخوفا من أن ينتقل أي عمل من هذا القبيل إلى ما يسمى بالمواسم الدينية، والتي لا شك أنها لم تعرف في عهد الرسول «ص» ولا في عهد الخلفاء الراشدين، وتابعيهم، بسبب ذلك، لقي ربه والأرض التي ناب عن المخزن فيها لم تعرف أي موسم على الإطلاق.

وفي هذا الموضوع قال أحد أقطاب هذه المدرسة، وهو الشيخ التراد بن العباس بن الشيخ الحضرام بن الشيخ محمد فاضل :

وإنني أوصيكم أبناء لا تجعلوا علي من بناء
لأنني إلى الدعاء أحوج ففي الدعا منفعة وفرج

وهذه من قصيدة قالها على غرار قصيدة عمه الشيخ ماء العينين اسمع ولا تغترر، وعندما تعجب الناس من كونه لا يتبع طريقه معينة، ويداوم على مختلف الرغائب المروية عن سيد البشرية محمد صلى الله عليه وسلم، حتى إن بعض الناس قال بأن هذا غير ممكن، وسكت عنهم إلى أن أرسل له السلطان المقدس مولاي الحسن الأول لياتيه بمراكش، وذلك سنة أربعة وثلاثمائة وألف، فحث عليه بعض محبيه في أن يبين لهم سبب كونه لا يلتزم بطريق من الطرق فقال :

«أنا يا بني والله ما كنت أظن إلا أن طرق أهل الله شيء واحد، لأن شيخي رضي الله عنه وأرضاه، ما ذكر لي تفرقة بينهم، بل قصارى خبره في ذلك أن يقول خذ هذا العدد من أسماء الله الحسنى ولازم عليه ومستنده من الحديث هو : في المرجع الفلاني، وله أسرار قد أعطاها الله لفلان، ويذكر لي من تفضل الله عليه بسره، من غير أن يقول لي ورد فلان، ولا ورد له غيره، أو لم يعط غيره، أو من أخذه لا يأخذ غيره،

موقع الشيخ ماء العينين

www.cheikh-maelainin.com

فيصير ذلك عندي كأنه مدح لذلك الولي، أو حث على ذلك الورد، وبقي هذا حالي، إلى ان خرجت (1) من عنده وأتيت لبعض البلاد التي مررت بها أثناء سفري إلى حج بيت الله الحرام، فإذا بالناس كأنها أعوذ بالله، أهل ملل متفرقة وأهل طرق مختلفة فتعجبت مما فيه الناس، وتعوذت مما فيه الوسواس وقلت للتلميذ أنه لا اختلاف بين هذه الأجناس، لأن الطريق طريقة واحدة، لأشرف ذوي الأنفاس، لثبوت إخوة أهلها بالكتاب والسنة»

ثم قلت :

أني مخاو لجميع الطرق ... أخوة الإيمان عند المتقى
ولا أفرق الأولياء ... كمن يفرق للأنبياء
قال تعالى المؤمنون إخوة ... وعدم التفريق فيه إسوة
لأفضل الخلق بعكس التفريق ... ففيه إسوة لكل زنديق
من اليهود والنصارى لعنوا ... عند الذي بربه قد يومن

بين في الشرح أن هذه الطرق إذا كانت على السنة فلا يمكن أن تختلف لأن شريعة الله ظاهرة، والرسول عليه الصلاة والسلام جعل الناس سواسية كأسنان المشط والله قال : إنما المؤمنون اخوة»، فالمؤمنون يقول الشيخ ماء العينين منتسبون لأصل واحد هو الايمان للحياة الموجب الأبدية كما أن الإخوة من النسب منتسبون للحياة الفانية (2).

ثم استشهد بعدد من الأحاديث التي تحث على التراحم والتعاون والتلاحم ليبين أن الخلاف والتقوقع في أحضان طائفة تطلق على نفسها طريقة لا يزيد من قوة الإسلام ولا يخدم الدين، ولا يركز الروح الإسلامية في النفوس على الوجه المطلوب، إذ عادة قد يجر إلى مخالفة نص الحديث

Scanné avec CamScanner

www.cheikh-maelamin.com

: «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يشتمه ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرج عن مسلم كربته فرج الله بها عنه كربة يوم القيامة ومن ستر مسلما ستره الله تعالى يوم القيامة».

وألح على أصحاب الطرق بأن يتجنوا الخلاف والتعصب لنص ثابت دون نص يماثله لأن هذا اتبعه شيخ معين وقال بأن نص هذا الحديث وغيره صريح في أن الشريعة لم تشرع لخدمة المشايخ ولا إيجاد سبل تؤله افرادا، بل أنزلت للتراحم والتآخي والاستقامة وعبادة الله الواحد الأحد ثم قال :

وانظر لمبدا طرق والمنتهى　　تعلم ما قلت بما قد يشتهي
وذاك ان كلهم لك يقول　　عليك باتباع فعل ذا الرسول
عليه أفضل الصلاة والسلام　　وهكذا تتبع منه للكلام

وبعد شرح كل بيت على حدة لخص شرح هذه الأبيات فيما يلي :

«وحاصل معنى الأبيات أن الأولياء كلهم يقولون لاتباعهم عليكم باتباع أفعال النبي وأقواله، وإذن فطريقهم طريق واحدة، في المبدإ والمنتهى ومن قال أنهم يقولون غير ذلك فقد افترى عليهم الكذب، ونسبهم لغير ما تكون به الولاية وهو الطاعة، والطاعة لا تكون، إلا باتباع النبي صلى الله عليه وسلم في أقواله وأفعاله، لأن الولي قد والى الطاعات، ولم يخللها بمعصية (1)» ثم قال في نفس النظم والشرح بأنه يحرم علي أي ولي أوشيخ أن يقول لاتباعه اتبعوا هذا من أقوال الرسول صلى الله عليه وسلم وذاك لا تتبعوه، ثم قال إن من قال ذلك فقوله أشد ممن أراد التفرقة بين الرسل ثم قال في النظم :

Scanné avec CamScanner

وذا الذي يقول ذا أشد من تفرقة الرسل فافهم يافطن
لأن ذاك بين قوم فرقا ورام ذا تفريق شخص حققا
وهو عليه الله صلى أمرا بالذكر والتقي وإخلاص جرى
ولم يقل لك بذا الذكر اذكرا وذاك الذكر به لا تذكرا

ولذا فما دام الرسول صلى الله عليه وسلم لم يبين أنه علينا أن نذكر بذكر معين ونتحاشى ذكرا آخر معينا، فمن أين أتى لأصحاب الطرق، إن كل طريقة ذكرها أفضل من ذكر غيرها، وإن أخذها عليه أن لا يأخذ معها أذكار طريق أخرى.

وقال في مكان آخر من نفس هذا الكتاب، وإذا تفضل الله على عبده بالقوة على الأذكار، وصار يقدر عليها ءاناء الليل وأطراف النهار فمن أفضل ما يشتغل به ما هو مأثور عن السلف ليحصل له فضل الاقتداء والاتباع، ويسلم من نخوة العجب وشر الابتداع، إذ كل أمر ليس له مستند عن النبي صلى الله عليه وسلم وتابعي ملته لا يلتفت إليه (1).

ثم قال بالحرف أيضا : «ولا يمكن أن يصير إلى إرشاد الخلق إلا من يعلم ما يرشدهم به وإليه فعليه أن يعلم خاص الشريعة وعامها، وقواعدها المبنية عليها الفروع ليكون كلما جاءه فرع علم منشأه من الأصل ورده إليه ليعلم ما يصلح من الفتوى به، وإلا فهو ناقص بحسب ما خصه من ذلك (2).

Scanné avec CamScanner